على هامش تكريم أبي سلمى: الشعر وحده هو الباقي

مهرجان تكريم ابي سلمى . ما كان في المستوى المطلوب .

هكذا بكل بساطة ..

وفود بكاملها لم تحضر .

شعراء دعوا . وكانوا في بيروت . ولم يلبوا الدعوة . (ابو رشد والقباني) .

شعراء آخرون حضروا كصحافيين لانهم لم يدعوا . وهكذا اكتفوا بموقع الشاهد دون ان يشاركوا .

كثيرون غيرهم دعوا ولم يلبوا الدعوة . او عاقهم عائق عن تلبيتها .

الحوامري . سعدي يوسف . نزيه ابو عفش . وهناك اسماء . دار همس كثير في اروقة المهرجان حول عدم دعوتهما .

اكثر من واحد . من اعضاء اتحاد الكتاب الفلسطينيين تحدث في الموضوع . وكل منهم اعطى « تبريرا مختلفا » عن الاخر .

الشاعران هما : علي الجندي وممدوح عدوان .

معلوماتنا تقول : ان الاتفاق الاخير . الذي جرى بين اتحاد الكتاب العرب - فرع دمشق واتحاد الكتاب الفلسطينيين . مكن الاول من فرض « شروطه » . وكان احد ابرز تلك الشروط : عدم دعوة هذين الشاعرين : علما انهما من ممثلي الشعر في القطر العربي السوري . حداثة الشعر تحديدا .

حبذا لو نعرف . اولئك الذين يقبعون في المكاتب الرسمية . في كل الاقطار العربية . دون استثناء . ان دعواتهم . ورحلاتهم . وتذاكر الطائرات لم تخلق شعراء يوما . وان حجبها لم تلغ شاعرا ايضا .

الشعراء الحقيقيون . ملك لمستقبل هذا الشعب .

الموظفون . يروحون ويجيئون . والشعر وحده . هو الباقي . الشعر - الموقف نعني ..

سالم سالم

قصة قصيرة

عجوز وقضية ...

بقلم : ش . برجاوي

زقاق ضيق يمتد صعدا بين جدران البيوت الصغيرة المتراصة ينحني ذات اليمين تارة وذات اليسار طورا ثم تتيه معالم نهايته بين الاكواخ . جلست الحاجة ام سعيد القرفصاء على حافة تلك الدرب الضيقة . مسندة ظهرها الى جدار بيتها الصغير . ممسكة بقضيب تعبث بمياه الخدمة الجارية وسط الزقاق وكأنها تساعدها في جريانها . غير عابئة بما يجري حولها ثم اخذت تهمهم بعبارات مسموعة متقطعة : سامحك الله يا ولدي ... اطلت الغياب .. رحلت غاضبا لانني لم اقبل رأسك ... لقد خفت عليك من السلاح الذي كنت تحمله . قلب الام دليلها اجل دليلها ...

وفجأة يسقط امامها حجر وسط القناة وكان نصيب وجهها وثيابها قسطا وافرا من تلك المياه الرمادية . فأجفلت وتطلعت حولها لترى الفاعل . كانوا صبية صغارا لم يجدوا ما يعبثون به سوى التحرش بالعجوز . راحوا يقهقهون متراجعين الى الوراء وهم يشيرون بأصابعهم الى وجهها الذي لم يعد تظهر منه سوى عينيها الغاضبتين . لحقت بهم بضع خطوات تلعنهم وتلعن تربيتهم . ثم دلفت الى غرفتها بعد ان تدخل بعض المارة وطرد الصبية بعيدا ...

لم اعد استطيع حمل المياه من الصنبور العام - قالت . انه بعيد وانا اصبحت عجوزا ضعيفة . وصبت بعض الماء من الجرة في « الطست » ثم راحت تغسل وجهها ... كنت تملأ الجرة مرتين او ثلاث يا سعيد . وانا اليوم اكاد لا استطيع ملئها اكثر من مرة ...

خلعت ثوبها وراحت تبحث في الصندوق الخشبي عما ترتديه ... لقد وعدتني بثوب جديد يا ولدي عندما تقبض راتبك في نهاية الاسبوع من الفرن الذي تعمل فيه ... اهكذا يا سعيد . تتركني وانت تعلم انني ارملة وليس لي من معين سواك ... سامحك الله يا ولدي وردك الي سالما .. سوف اطهو لك الرز باللحم عندما تعود ...

وتعالى صوت جارتها ام علي بالباب :

- اين انت يا حاجة ؟ ...

- ادخلي يا ابنتي . انني ابدل ثوبي ..

انه نصيبي من اولئك الاشقياء ..

- ماذا فعل بك اولئك الاشقياء ..

هاتي ثوبك اغسله لك ..

- لا عليك يا عزيزتي . حفظ الله زوجك واولادك ..

- ما اخبار سعيد يا حاجة ..

- العلم عند الله . لقد قالوا لي في المكتب انه ذهب مع رفاقه الى الجنوب . واعطوني عشر ليرات وبعض الرز والسكر والحليب ... ها قد لبست ثوبي الاسود . انه بال تملأه الرقع ولكنه على كل حال نظيف ...

وجلست ام علي على كرسي حديدي قديم وتنحنحت وكأنها تكمل حديثا :

- الم اقل لك يا حاجة ان مصائبنا كلها من اولئك المسلحين ؟ ..

وهزت العجوز برأسها وتنهدت :

- ايه يا ام علي لقد نصحته كثيرا . الا انه كان يقول لي اشياء لا افهمها .. القضية ... الصهيونية .. الامبريالية .. لست اعرف ماذا .. عشرة ايام لم اذق طعم النوم . انتظر عودته لم يبق لي في الدنيا سواه . اخته « فاطمة » تزوجت وسافرت مع زوجها الى الصحراء بعيدا ، وها قد مضت اربع سنوات دون ان يصلني منها خبر ....

وقفت ام علي متجهة نحو الباب :

- تركتك بالعافية يا حاجة ..

- انتظري يا ابنتي ريثما اغلي لك فنجان قهوة ..

- نشربها بعودة سعيد ان شاء الله ..

وضعت ام سعيد ثوبها المتسخ في « الطست » وصبت عليه بعض الماء والصابون . وراحت تدعكه بيديها النحيلتين المعروقتين وهي تحدث نفسها : لو انني خلفت صبيا اخر . لكان بجانبي . يملأ الجرة . يسأل عن سعيد . يجبرني على تناول الطعام . يرد عني تعديات الصبيان الاشقياء ... ايه ما احلى الاولاد ... ولكنهم عندما يكبرون سرعان ما يرحلون .. كان الاخر سيذهب بعيدا عني وسيضاعف عذابي .. لا لا كفاني عذاب سعيد . الان عندما اغسل ثوبي سأذهب لاسأل عنه ...

تناولت عصاها بيدها واغلقت الباب واطمأنت على المفتاح في جيبها . ومشت نحو المكتب ذلك الخيط الرفيع الذي يصلها بابنها سعيد ...

انهم ينادون على بعضهم : يا رفيق تعال ، يا رفيق خذ سلاحك .. قالت لنفسها .. وعندما يقتل لهم رفيق يسارعون لتعليق صوره على الجدران .. شهيد الواجب والوطن والحرية فلان .. قرأها لي احدهم على صورة شاب وسيم لفت نظري ..

وعلى باب المكتب استقبلها رفيقان :

- اهلا وسهلا بالخالة . تفضلي ان المسؤول بالداخل في مكتبه ..

- لا اريد شيئا . لا رزا ولا طحينا . اريد ..

وسكتت ام سعيد وتسمرت عيناها الغائرتان اذ وقع نظرها على صحيفة بيد احدهما وصرخت :

- ماذا ارى . رباه .. انها صورة « سعيد » ..

وخارت قواها وتهالكت على نفسها . وقبل ان تتكوم على الارض امسك بها الشابان . قال احدهما :

- هوني عليك يا « ام سعيد » ليس في الامر ما يدعو لليأس . انه حي يرزق . وقال الثاني :

- ان سعيدا بطل . لم يستسلم الا بعد ان نفذ مهمته خلف خطوط العدو ونفذت ذخيرته .. وتابع الاول ::

- لقد كان قائد المجموعة ، وقد جرح جرحا بسيطا . وقد علمنا من عيوننا المبثوثة بين صفوف الاعداء انه اوقع بهم خسائر فادحة ..

وتململت شفتا ام سعيد بكلمات تكاد تسمع

- ولماذا صورته هنا .. انتم لا تصورون الا الاموات ...

اجاب احدهما :

- انها صورة مختلفة ، وهذه صحيفة نصدرها كل اسبوع ، وان لم تصدقي خذيها معك وليقرأها لك اي انسان غير هنا .. ثقي يا حاجة ان سعيد حي ، ولكن قيل لنا انه اسر .. وترتاح اسارير « ام سعيد » قليلا وتتطلع الى فوق :

- فك الله اسرك يا ولدي واعادك الي .. ثم تطرق الى الارض وتروح في نشيج صامت . بينما يحاول الشابان تهدئتها ومساعدتها على العودة الى بيتها ...

وتمضي الايام وئيدة ، ثقيلة ، ويزداد حزن العجوز ، وتنزوي في بيتها لا تخرج منه الا الى المكتب ، تتسقط اخبار ولدها ..

- ودخلت عليها تلك الجارة الطيبة ام علي ذات صباح ::

- عمت صباحا يا ام سعيد ..

- واسعد الله صباحك يا جارة . تفضلي . تعالي اجلسي هنا بقربي ..

- كيف حالك يا حاجة ..

- نحمد الله تعالى على كل حال ، كما ترينني يا ابنتي لم تعد الحياة لتطيب لي . ان الموت ارحم في مثل حالي ...

- توكلي على الله يا حاجة ...

- يا ابنتي انا عجوز مريضة . وايامي اصبحت معدودة ، وولدي اخذوه اسيرا . والعلم عند الله اذا كنت سأراه . ذلك اذا لم يعدموه ...

وسمعت طرقات قوية بالباب . فأجفلت المرأتان وصرخت ام سعيد :

- من بالباب ..

- انا يا خالة ، انا محمود رفيق سعيد . جئتك بخبر سار ..

وجمعت كل قواها واستوت في فراشها حين دخل محمود :

- صباح الخير ... وقبل ان ينتظر جوابا تابع ... لقد وصلنا الان خبر بلسان احد الفلاحين يقول انه اثناء نقل سعيد داخل الارض المحتلة تعطلت سيارة الاسعاف . فاغتنم سعيد فرصة انشغال السائق والحارس بها وفر باتجاه المناطق التي يسيطر عليها الوطنيون العرب ..

وراحت الحاجة ام سعيد في غيبوبة لدى سماعها الخبر ، فهبت ام علي ترش على وجهها بعض الماء :

- صلي على النبي يا حاجة . ابشري خيرا ان شاء الله ...

وفتحت ام سعيد عينيها :

- اصحيح ما اسمع يا ام علي ...

واجابها محمود باصرار :

- بل انه يعالج في احدى قواعدنا الان بالجنوب . وانني اقسم على ذلك بروح « لينين » ..

- ماذا يا ولدي ، بماذا تقسم ، اتهزأ من عجوز في عمر امك ...

- كلا يا خالة عفوا ، اقسم بشرفي ، وحياة الخضر عليه السلام ..

- بارك الله فيك يا ولدي وحفظك لامك من كل مكروه ..

وتتدخل ام علي :

- انهم شباب اليوم ، لا نفهم ما يريدون وما يقولون .. هوني عليك يا حاجة ، انني لا اراه والله الا صادقا فيما يقول ...

- طمأن الله بالك يا ام علي ، يا مرضية ...

وتقف ام علي مستأذنة :

- تركتك بخير يا حاجة ، الا تريدين اية خدمة ، سأرسل لك صحنا مما سأطبخه اليوم وارجو ان يعجبك .

- بارك الله فيك ، لا تكلفي نفسك عناء ، لدي بعض الخبز سأبلله بالماء والسكر ..

باتت ام سعيد بالذهاب والاياب بين بيتها والمكتب تتابع اخبار سعيد ..

وفي صباح اليوم الرابع ، سمعت طرقات خفيفة على الباب ..

- من بالباب ...

- افتحي يامي ..

انه سعيد ، انه صوته . اجل انه سعيد ... وقفزت كالصبية وكأنما استجمعت كل قواها : لتفتح الباب وتضم اغلى ما في الوجود الى صدرها ... ولدي حبيبي....

■

لن اطفئ الشمع في العيد

بقلم : نادر وليد

افترشت ذاكرتي وجلست محاطا بالبندقية والرفاق . انظر الى بسمات مئات الشهداء . جلست اتأمل احدى عشرة شمعة . تتلألأ مضيئة درب المستقبل الآتي من خلف الاسوار البعيدة . يحطم كل القيود . ويعلن مشيئة البندقية . بأن الحريد على أكف الثوار . آتية . تعلن بدء الشوط الآخر .

* * *

عندما كانت ارادتي وحتى احلامي . اسيرة تلك الخيام السوداء . وكان شيئا ما يحول بيني وبين ذاتي . يجعلني اسير تلك الحماقات السخيفة ، بأن ابن آوى الذي خطف براءة هدوء المساء ، امرا واقع . وكنت ابتلع كلامي بعد مضغه طويلا . احاول الا يكون مفهوما ، لاني لم اكن بعد قد اشتقت الى طعم الاسواط . تمضغ من جسدي اجزاءه . وحين كنت ارفع اصبعي معترضا ، كان الاصبع يقطع . ولكن خفت ان تقول تلك البعيدة : « ذاك الراحل لن يعود ابدا » .

وذات يوم : انطلقت كالسهم
تلك الثورة .
والكلام لم يعد يمضغ ،
والصمت من الصراخ اوجع .
حملت ما بقي من كفي على ظهر
الزناد ،
وحطمت بالكف الآخر . حبل الخيم
والاوتاد .
واليوم . نحتفل بعيدك
ولا كل الاعياد
لن اطفىء الشمع جبهتي .
بل اريد النور في الميلاد .
ما هم ان لم تكوني لي
فلسطين . ستكوني للاحفاد .

تشرين ثاني ١٩٧٨